

من الشرق والغرب

الطب العربي

سليمان قطانة

ويذكر البعض الآخر (٢) هذه التسمية ويشدد على التسمية الإسلامية فقط ، وحاجتهم في ذلك أن بعض العلماء العرب ، من أصل غير عربي أمثال علي بن عباس الجوسي * ، ولكننا بذلك نستبعد الصابئة والمسيحيين واليهود الذين كان لهم أعمال ممتازة في الطب * *

يعرف الطب العربي (١) بأنه كل ماكتب في الطب والعلوم الملحقة باللغة العربية ابان الحضارة العربية الإسلامية *

(لوكلير - تاريخ الطب العربي ١٨٧٨ - بروان - الطب العربي ١٩٢١ - كامبل - الطب العربي ١٩٢٦ - ليشتتايلر - تاريخ الطب (الفصل العاشر - ١٩٧٨))

* - هو فارس اعتنق الاسلام ، وكان اداً اصل مجوسى *

** - يشدد بعض المستشرقين على التسمية الاسلامية وتغایبهم فصل ما كتبه الاطباء اليهود عن الطب العربي ، ليجعلوا منه طباً يهودياً على حدة ، وليؤكروا على علم يهودي مستقل *

(١) براون ج . ادوارد : الطب العربي - ترجمة : احمد شوقي حسن .
الالف كتاب - لجنة النشر بوزارة التعليم العالي - ١٩٦٦ - ص : ١٨

Ullman Manfred : Islamic Medicine Islamic Surveys Edinburgh
University Press - 1978, p. xiii

(٢)

وربما كان العلم هو أقل الميادين الثقافية خضوعاً لعملية الصبغ بالصبغة الإسلامية (٣) .

لذلك فكل ما كتب في الطب هو عربي إسلامي ، بل أقرب إلى العروبة ، لأن الإسلام ليس سوى الفكر الديني للعرب .

ولقد اعتاد المؤرخون تقسيم الطب العربي إلى ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة الترجمة : ويفيدونها مع حنين بن إسحق .

الثالثة : مرحلة الانحطاط : وتبدأ بعد ابن سينا (٤) .

والثالثة : مرحلة الانحطاط : وتبدأ بعد وفاة ابن سينا .

الآن في هذا التصنيف اجحافاً بالكثير من العلماء الذين عملوا في الميادين العلمية قبل وبعد هذه التواريف .

فالعلوم ان الترجمة بدأت في عهد الامويين عندما قام حفييد معاوية بن أبي سفيان ، خالد ابن يزيد بترجمة الكتب عن اليونانية والتي أمر بجلبها من الإسكندرية .

ولم تكن تلك الكتب كلها كيميائية ، فقد كان منها كتب طبية . وقام بترجمتها يحيى النحوي الذي ، على ما يبدو أن أصله كان سورياً من مدينة حمص (٥) .

والواقع أن المفهوم الحضاري ، في رأينا هو الأهم ، وهو الذي يتناسب مع المفهوم الحديث للتاريخ . فلم يكن للعرب ، شأن قبل الإسلام ، ولم يتمكن الإسلام من العزة والقوة والكرامة لو لا العرب .

فالحضارة العربية الإسلامية : عربية اللغة والتقاليد والمفاهيم ، وأسلامية الدين والفلسفة

والواقع أن العرب قد فتحوا صدورهم للثقافات المختلفة من يونانية ، وبيرانطية ، وفارسية ، وهندية ، واستطاعوا أن يديبوها في بوقته فكرهم ليصنعوا منها الحضارة العربية الإسلامية بعد أن أضافوا عليها الشيء الكثير . والكلام هذا ينسحب على كل من عاش خلال تلك الفترة الحضارية المزدهرة من كل الأجناس والأعراق والأديان بما في ذلك اليهود ، فهم جزء لا يتجزأ من تلك الحضارة ، رغم كل الجهود الرامية لفصلهم عنها ، ومثل نسوقة على ذلك الشاعر ابن جبرول (٣) الذي ظل فترة طويلة معتبراً مسلماً حتى ظهر أنه يهودي .

كذلك فإن المؤلفات الطبية التي وضعها اسحق بن سليمان الإسرائيلي ، وموسى بن ميمون لا تختلف عن أعمال المؤلفين المسلمين ، وينسحب ذلك على الكتابات العلمية التي وضعها الأسقف النصراني ابن العبرى .

والواقع أن مجرد كون كتب المؤلفين المسلمين قد امكن ترجمتها إلى العربية واللاتينية دون آية تغيرات جوهرية ، إنما يثبت وجود تفاعل بين الأديان في العالم الإسلامي لاتقل أهمية مما كان في ذلك العلم من تفاعل بين القوميات .

(٣) عالم المعرفة - تراث الإسلام (القسم الثالث) :

تصنيف : شاخت وبوزورت

ترجمة :: د. حسين مؤنس - المجلس الوطني للثقافة والفنون والإدب في الكويت - ص : ٨٣ .

Dr. Ammar Shim : En Souvenir de la Medecine Arabe 1962. p. 30 (٤)

Lucien Leclerc : Histoire de la Medecine Arabe Burt - Franklin New York - 1878 Tome I p. 43 (٥)

على قايتباي في معركة مرج دابق عام ١٥١٦ وافتتح مصر عام ١٥١٧) معنى ذلك ان الطب العربي دام من : خلافة معاوية بن أبي سفيان (٦٦١ - ٦٨٠ م) حتى وفاة الانطاكي عام ١٥٩٩ م اي حوالي تمانية قرون تقريباً . وهي فترة طويلة وجيدة .

والواقع ان التصنيف الاول المذكور في بداية البحث محدودة جداً وسببه قلة الاطلاع ، وصعوبة اللغة العربية (٧) ، وندرة الباحثين الجديين .

و قبل ان نخوض في الطب نفسه لا بد لنا من ان نذكر بان العرب هم الذين أرسوا تاريخ الطب ، فلم يكن ممروضاً قبلهم فكتبوا عن تاريخه القديم والمعاصر لهم وعن رجالاته . بالإضافة الى ان التاريخ نهر جار لا يتوقف وكل يوم يمر يزيد معارفنا . وان ما عرف عن الطب العربي حتى الان ، ليس سوى جزء يسير جداً (٨) مما قام به العرب .

والكتب العربية الطبية المحققة بشكل علمي جيد ومطبوعة لا يتتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة * .

مع ان عدد المخطوطات الموجودة حالياً والمصنفة يتتجاوز البعض مئات عدداً عن الموجودة غير المعروفة ، والتي اختفت تماماً ولم تصلنا .

لذا فمن الصعب جداً ، حالياً وفي رأينا اصدار حكم نهائي قاطع عن الطب العربي ، قبل ان يقوم عدد كبير من الباحثين الجديين ول فترة طويلة بتحقيق ونشر هذه المخطوطات ،

اذن علينا ان نبدأ تاريخ الترجمة منذ ذلك العصر وليس من عهد المأمون واسحق بن حنين .

خاصة وان الكتب الستة عشر النامية لجالينوس ترجمت ، او بدأت ترجمتها منذ تلك الفترة اي في القرن السابع ميلادي .

ثم نشطت حركة الترجمة في انطاكية ، ودمشق ، وبغداد وقيل عام ٩٠٠ كانت كتب ابقراط وجالينوس مترجمة كلها الى العربية تقريباً .

وبعد المراحل الثانية مع اواخر الفرن التاسع ميلادي . وفيها ، كما هو معلوم ظهرت اسماء لامعة جداً . ولقد استمر هذا النشاط الابداعي فترة طويلة من الزمن . وببدأ بالانحطاط مع اواخر الفرن الثالث عشر (استولى هولاكو على بغداد عام ١٢٥٨) فقد توفي ابن النفيس عام ١٢٢٨ م ، وابن ابي اصيبيعة عام ١٢٧٣ م ، وابن البيطار عام ١٢٤٨ م .

ولكن هذا لا يعني ان العلم قد توقف فقد استمر ببطء ، ينهض حيناً ويتعثر حيناً آخر . ولقد وجد اطباء علماء يتمتعون بقيمة جيدة وان لم تصل الى مستوى الاوائل ولكنهم كتبوا ، وانفروا ، ودرسوا امثال حبيب ابن قاسم (ت ١٥٨٤ م) وداود الانطاكي الذي توفي عام ١٥٩٩ م .

ويمكنا مع لوكير (٩) اعتباره آخر ممثل للطب العربي . لأن العثمانيين كانوا قد بدأوا بسيط نفوذهم وسلطاتهم (انتصر سليم الاول

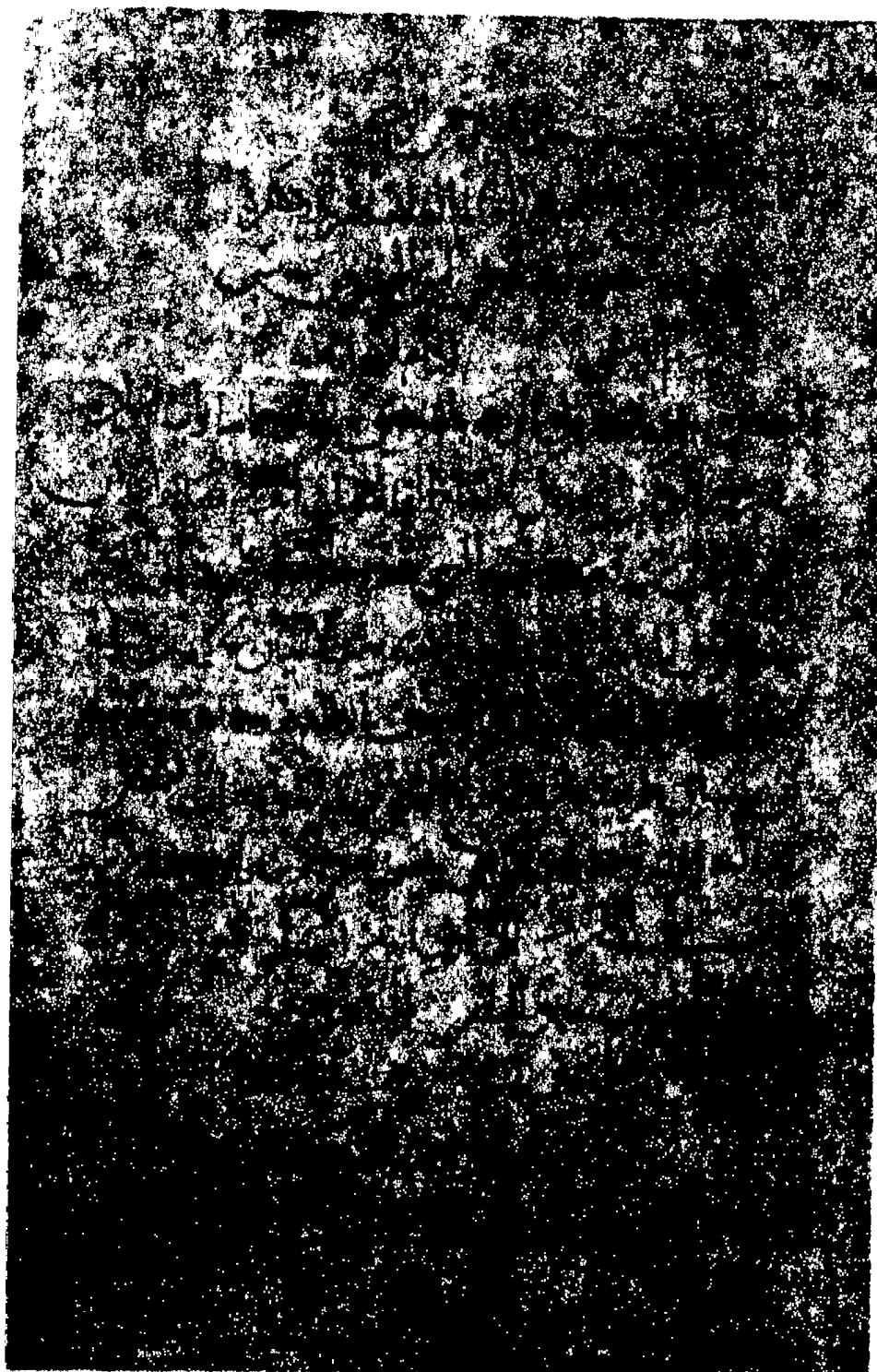
(٦) ٢٠٣ ص : ٢٢

(٧)

(٨) ٢٢٣ ص :

Lichtnreler Charles :Histoire de la Medecine Fayard Paris, 1978 pp. 212

* - لا يمكننا اعتبار ان الكتب المطبوعة في بولاق - القاهرة ، او حيدر آباد الدكن ، كتب محققة . لأنها طبعت للاستفادة من المعلومات الواردة فيها علمياً ، وليس لفائدة تاريخ الطب . كما أنها نشرت أخذها من مخطوطة واحدة وليس تحقيقاً .



الصفحة الأولى من مخطوط شرح مقدمة المعرفة لابن النفيس

والفلسفة . كما قلنا فقد صهروا كل ذلك في بوتقة عقريتهم وجعلوا منها الطب العربي .

ثم أن بعض الاعمال (وأغلبها كان صدفة) استطاع أن يكشف الستار عن ابتكارات كان للعرب الفضل الأول فيها .

نذكر كمثل الصدفة التي قادت محبي الدين التطاوي إلى تقبيل مخطوط ابن الفنيس « شرح تشريح القانون » في مكتبة فرايبورغ بالمانيا (١١) ليكتشف أن ابن النفيس هو أول من وصف الدورة الدموية الصغرى ، وعندهما نشر سلامة موسى (١٢) كتاب البغدادي « الأفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » رغبة منه في التعريف بمصر في ذلك الزمان ، عرف المهتمون بأنه نقد جالينوس ورفض وصفه للفك السفلي على أنه مؤلف من قطعتين وأكد أنه مؤلف من قطعة واحدة .

كذلك عندما عثرت المستشارة الالمانية فريد رون هاو بالصدفة ضمن مجموعة من المخطوطات على رسالة الرازى (١٣) « مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البخري في فصل الربيع عند شمه الورود » أنتبه العلماء إلى أن الرازى كان أول من وصف الرشح التحسسي في التاريخ .

وبالطبع فلا يمكن لنا ان نفصل بعض هؤلاء المستشرقين عن بيتهم ومجتمعاتهم والا نكار السائدة في أيامهم .

بالإضافة إلى أن البحث ، بشكل عام ، مقتصرة على بعض الأسماء اللامعة كابن سينا والرازى ، بينما لا تزال مخطوطات الكثرين أمثال : ابن النفيس ، وابن رضوان ، وابن الجزار وغيرهم تنتظر اليد الرفقة التي تنشلها من الاهتمام .

ولم يتورع بعض المستشرقين عن اصدار الأحكام القاطعة ، فجزموا بأن الطب العربي عبارة عن نقل للطب اليونانى (٩) ، بل زادوا فقالوا أنه ليس سوى ترجمة وأن العرب هم وريثو اليونان ، وأن فضل العرب كائن في نقل العلوم اليونانية إلى الغرب وتعريفهم بها .

وكان من البديهي أن يتصدى لهم فريق آخر رد عليهم بالنظرية المعاكسة على أن العرب نقلوا في البداية ولكنهم أبدعوا أمثال الفرنسي لوسيان لوكلير (١٠) وكان على هؤلاء بالطبع أن يدلوا بالبراهين الواقعية والمعملية لذلك ، ولم يكن هذا بالشيء اليسير : فعدد المهتمين والمتخصصين بالطب العربي في العالم قليل جدا . ومن توفرت فيه الصفات الازمة من الموضوعية والعلم الغزير في الطب والتاريخ والفلسفة واللغات القديمة أقل .

ولكن العرب لم يأخذوا عن اليونان فقط بل أخذوا عن الهند والسريان والبيزنطيين ، بل يجد البعض تأثيراً صينياً أيضاً . كذلك لم يأخذوا كل شيء عن اليونان ، فهم لم يترجموا الأدب والتاريخ والشعر والمسرح والملامح واقتصرت ترجمتهم بالعلوم البحتة والطب والمنطق

(٩) المصدر رقم ١٠ ، ص : ١٨

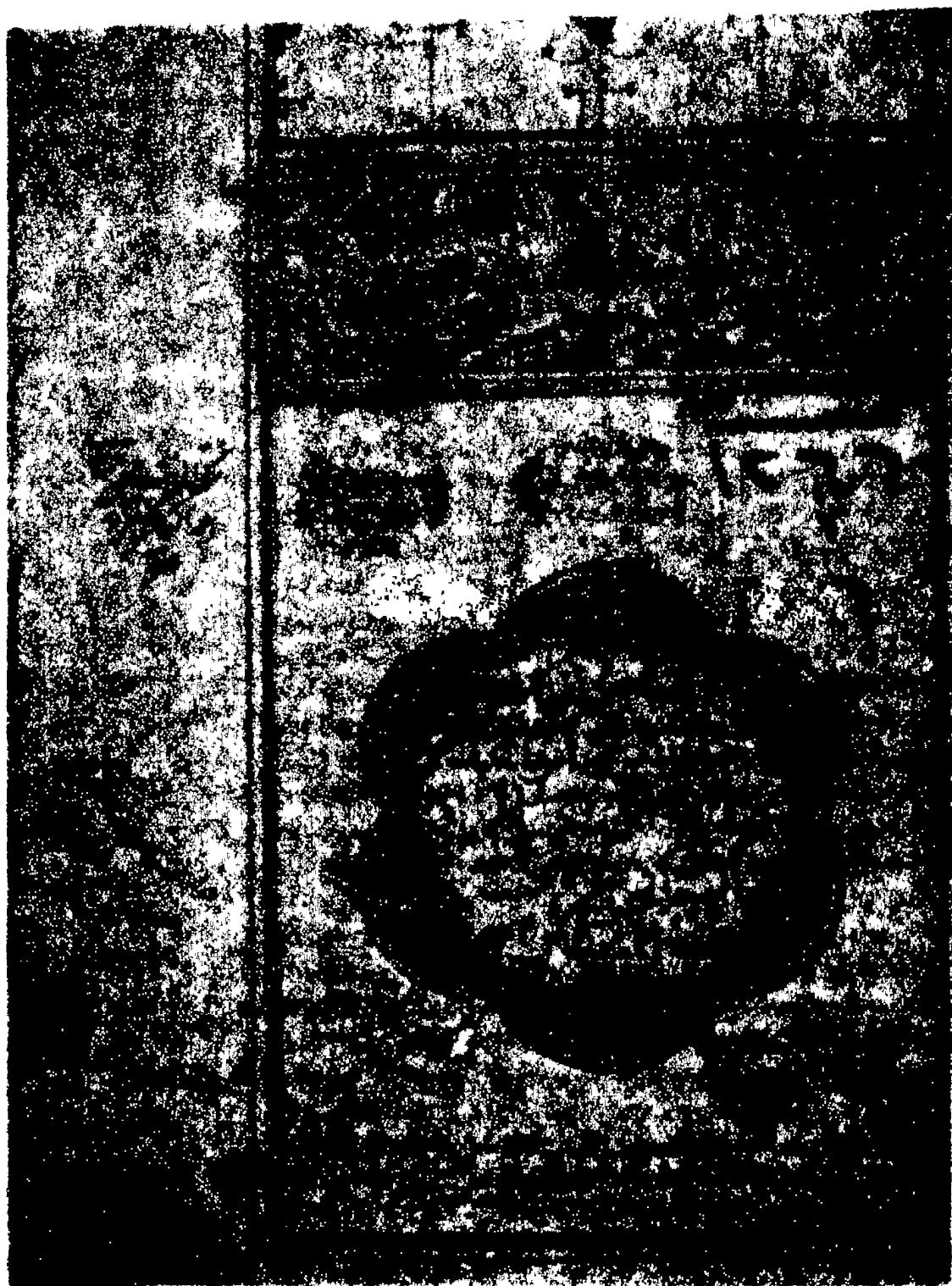
(١٠) المصدر رقم ٥ : المقدمة .

(١١) مليونجي بول : ابن النفيس - اعلام العرب - القاهرة - ١٩٦٧ ، ص : ٧٠ و ٧١

(١٢) البغدادي عبد اللطيف : عبد اللطيف البغدادي في مصر - المجلة الجديدة - مطبعة مجلة المصري - بلا تاريخ - كلمة المحرر .

(١٣) هاو فريد ورون وقطاية سلمان : تقرير حول الزكام الزمن عند تفتح الورد - مجلة تاريخ العلوم العربية -

معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب - عدد ١ مجلد ١ ص : ٥٧ ، ١٩٧٧



الصفحة الاولى من مخطوط الجامع لفردات الادوية والاقدية لابن البيطار

كانت اليونان جزءاً من العالم الشرقي
فعلاقاتها مع فارس ، وسورية ، ومصر قوية ،
كما تشهد بذلك كتابات هيرودوت وهو ميروس
وغيرهما .

ولم تكون بقية أوروبا في ذلك الزمان سوى
أماكن مجهولة تسكنها أقوام متواحشة . لذا
كانت علاقات اليونانيين مع الشرقيين (ولا
رال) قوية متينة .

واذا اضفنا الى ذلك ان المنطق العملي
الحالى يرفض « المعجزات » لذا استطعنا ايضاً
ان نرفض فكرة المعجزة اليونانية . وهي التي
تقول ان اليونانيين بدأوا من لاشيء وخلقا كل
شيء .

والدليل : ان لا دليل يثبت المكس ، ولكن
المنطق والواقع معاً يرفضان هذه الفكرة .

فكرة « الخليفة التقائية » مرفوضة
ليس فقط في مجال التاريخ الحضاري ، بل
وفي مجال العلوم الحيوية والمادية ايضاً .

الا ان ندرة المهتمين بالطب القديم :
الاشوري والفرعونى وقلة النصوص الطبية
التي عثر عليها تكون حجر عثرة في اثبات
أصول « المعجزة » اليونانية .

ولكن ثمة بعض الشواهد : فلقد عرف
الاشوريون بأنهم درسوا الفلك بشكل جيد (١٥)
ووجدوا علاقات بين الإبراج والحياة الإنسانية
واعطوا الأرقام صفات سحرية ، الشيء الذي
نجد في المفهوم البقراطي للطب .

فلقد كان التاريخ ، وتاريخ العلوم ، بشكل
خاص مجالاً لاسقاط مفاهيمهم وأفكارهم
ومعتقداتهم .

ازدهر الاستشراق في زمن اشتد فيه
عهد الاستعمار وانتشاره ، وفي الوقت الذي
ازداد فيه الغربي زهواً وغروباً بنفسه بحيث
جاء وقت اعتبر فيه نفسه نقطة البداية لكل
حضارة وتقدم (١٤) ، وكل ما فعلته الأمم
قبلها كان عبارة عن تمهيد لظهوره ، واشتبط
الامر بالبعض حتى وصلوا إلى العربية وفكرة
الإنسان المتفوق .

وكان العرب والمسلمون أول عالم تصدى
له الغرب بسبب وضعهم الجغرافي ، ومكانتهم
التاريخية ، وغنى بلادهم ، وعلاقتها المضطربة
مع أوروبا .

فلا عجب ان كتب ما كتب عن العرب
وحضارتهم خاصة بعد ان ظهرت الصهيونية
وراحت تلعب دورها المعروف في كل مجال بما
في ذلك التاريخ الحضاري العلمي .

والذي تريده ان تؤكد انه البحث الجدي
القليل الذى كرس تاريخ الطب العربى ابرزت
اليهود ، اصالة الحضارة العربية وأبداعها .
ولا بد ان يكشف المستقبل ، خاصة واننا نرى
في البلاد العربية مؤسسات اخذت بالاهتمام
الكلى بالترااث العلمى ، * عن اكتشافات علمية
آخرى ، تؤكد اصالة العرب والمسامين وتدحض
النظريات العرقية والدس الصهيونى .

● ● ●

(١٤) المصدر رقم ٥ ص ١٩ :

Contenant : La Magie chez les Assyriens et les Babyloniens.
Payot. Paris. p. 138.

(١٥)

* - من اهم هذه المؤسسات : معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، ومعهد المخطوطات العربية المصورة في القاهرة ،

فهاتان المجموعتان ليستا سوى تراكم معلومات حضارات مختلفة زاد كل انسان فيها حتى أصبحت علما عليه .

وربما كان هذا الاعتقاد اى ان انسانا واحدا وضع ذلك ، هو الذى جعل العرب يعتقدون ان بقراط جاءه وحى من الله (٢١) وان اليونان رفعوا من اسم ابيقور (٢٢) الى درجة الالهة .

ولقد عاب بعض المستشرقين على العرب انهم اخذوا النظرية البقراطية في الطب .

صحيح انهم انتقدوها ، واضافوا عليها الشيء الكثير حتى وصلوا الى التخمين (٢٣) ولكنهم لم يبدعوا نظرية طبية خاصة بهم .

والواقع ان النظرية هذه ظلت معهولا بها حتى القرن الثامن عشر ، ولم تقوس دعائهما الا عند بداية العلم التجاربي .

وعندما انسحبوا تماما لم يستطع الاوربيون الذين رفضوها ان يقيموا نظرية بدل عنها . بحيث ان الطب المعاصر الان لاظرية له على الاطلاق (٢٤) .

لذلك فلا يضر العرب ان هم اخذوا هذه النظرية عن اليونان بل على العكس ان في هذا

كذلك فان مفهوم البحران مأخوذ عنهم (١٦) . اما بالنسبة للطب الفرعوني فتجده شابها غريبا بين بعض تعاليم ابقراط وبينه، بحيث تؤكد بأنه لا بد قد اخذ عن المصريين بعضا من تعاليمهم الطبية . كوصف الرضوض القحفية ، ومرض الكزار ، ووصف مرകز الاستمناء في النخاع الفقري ، وبعض الوصفات الطبية (١٧) .

كذلك ولا بد ان قسما من التشريح الجاليينوسي يعود الى الطب الفرعوني (١٨) ، لأن الديانات كلها منعت فتح الجثث لاي سبب كان ، ما عدا الديانة الفرعونية .

صحيح ان من كان يفتح الجثث لتحليلتها لم يكن محظيا ، (١٩) ولكن ذلك لم يمنع من فتحها يوميا وبالعشرات .

فلا بد ان الطبيب الذى كان يهتم بالتشريح ، استغل هذه الفرصة للافادة في دراسة احشاء جسم الانسان . ورغم انه لا توجد شواهد على ذلك فقد اتى على ذكر الاعضاء بدقة وتسميتها من الناحية التشريحية (٢٠) شيء معروف عند قدماء المصريين .

اذ لا يعقل ان يقوم الانسان ، مهما اوتى من ذكاء وحكمة ، بوضع معلومات بهذه الكيفية وذلك المستوى الذي نجده في المجموعة البقراطية او المجموعة الجاليينوسية .

(١٦) المصدر رقم ٤ ص : ١٠٠

(١٧)

Deca Ange Pierre : La Medecine Egyptienne au temps des Pharaons
R. Dacosia. Paris 1971. p. 242.

(١٨) المصدر رقم ١٧ ص : ١٠٠

(١٩) المصدر رقم ١٧ ص : ١٣١

(٢٠) المصدر رقم ١٧ ص : ١٣٥

(٢١) ابن أبي اصيبيعة : ميون الانباء في طبقات الاطباء مكتبة دار الحياة - بيروت - ١٩٦٨ ، ص ٣٠

(٢٢) المصدر رقم ١٧ ص : ٤٣

(٢٣) المصدر رقم ١٧ ص : ٤٠٧

(٢٤) المصدر رقم ٧ ص : ٣٤



جهاز الوران

النار ، والهواء ، والماء ، والارض (٢٧) ولكل منها صفة خاصة بها .

فالنار = الحرارة + الجفاف اي انها حارة
يابسة

والارض = البرودة + الجفاف اي انها باردة
يابسة

والهواء = الحرارة + الرطوبة اي انه حار
رطب

والماء = البرودة + الرطوبة اي انها باردة
رطبة .

ونقلت هذه العناصر الى جسم الانسان فاصبحت الامبراطرة تقابلها اخلاقاً اربعة ومفهوم الاختلاط هندي الاصل وجده في كتب هندية تعود الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ووصلت الى قوينيدوس عن طريق بلاد فارس (٢٨) والاختلاط هي :

الدم و مقابلته = الحرارة + الرطوبة فهو رطب حار و فائدته تهدية البدن .

والبلغم = البرودة + الرطوبة فهو رطب بارد و فائدته ان يستحيل دما اذا فقد البدن الفداء

والمرة الصفراء = الحرارة + الجفاف فهي حارة يابسة فائدتها تلطيف الدم وتنقية .

لمعجزة، غير المعجزة اليونانية قل من اشار اليها من المؤرخين (٢٥) :

لقد اقبل العرب على الطب اليوناني والدين الاسلامي في عنفوانه وقمة مجده . في الوقت الذي يتناقض الدين والعلقية اليونانية مع دين وعلقية العرب .

فالعرب مسلمون موحدون ، واليونان وثنيون متعددو الالهة ، والعرب ساميون ذوو عقلية دينية ميتافيزيقية ، واليونان ماديون .

ولكن مرونة الفكر العربي ، وتعطشه الشديد للعلم والمعرفة ، وكثرة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تحض المؤمنين على العلم * ، جعلت من العرب محركاً تجتمع فيه انوار العلم والمعرفة من كل البلاد وكل الع国民يات واصبحت العقلية العربية نتيجة تفاعل كل هذه الع国民يات وال المعارف .

النظرية البقراطية

ترتكز النظرية البقراطية على فكرة تقديس بعض الارقام . وهي فكرة اشورية .

فالارقام ٤، ٧، ١١، ١٤، ١٧، ٢٠، ٣٤، ٦٠، ٤٠، (٢٦) مقدسة، والرقم ٤ ذو اهمية كبيرى . اعتمدته اليونان لتفسير تكوين الاجسام في العالم .

الاركان او العناصر او الاسطقطات اربعة هي :

* - منها قوله (صلعم) : «الناس عالم ومتعلم، والباقي همج»

(٢٥) المصدر رقم ٧ ، ج ١ ص : ٤

(٢٦) المصدر رقم ٧ ص :

(٢٧) د. كمال حسن : الطب المصري القديم - وزارة الثقافة والارشاد القومي - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٦٤

ص : ١٣٦ - ١٣٧

وقد تتحول الصفراء الى سوداء ، اذا حرقتها حرارة شديدة ، الا ان الصفراء لا يمكن لها ان تتحول الى دم او بلغم . كذلك السوداء لا تتحول الى دم او بلغم او صفراء .

ولقد اعرض بعض العلماء العرب على هذه النظرية وانتقدوها منهم على بن العباس المجوسي (٣٠) فقال بان ليس ثمة اربعة عناصر بل عنصر واحد ربما كان الماء او الهواء . ويقول بان الجسم لا يحتوى على اربعة اخلاط بل خلط واحد هو الدم .

القوى

تقوم اعضاء الجسم المختلفة بأعمالها مدفعية بثلاث قوى

١ - القوة الطبيعية : ومنها التي تومن للجسم تغذيته وهي القوة الفاذية . ومنها المختصة بنمو الجسم وهي القوة النامية ، ومنها لاجل النوع وهي المولدة . والفاذية تخدمها اربع قوى : الجاذبة ، والمسكـة ، والهادفة ، والمدافعة . والفاذية تخدم المولدة وهما تخدمان المولدة .

ففي الكلية مثلاً : قوة جاذبة تجذب المائة اليها وقوة ماسكة : تمسك بها عندئذ تقوم القوة الدافعة : بدفعها نحو الحال والمثانة وتكون القوة الرابعة : قد قامت بفعلها في تنقية الدم اثناء ذلك .

وموقعها في الجسم الكبد ، وللحظ مند الان الاهمية الكبرى التي كان القدماء يولونها للكبد واعتقاد البقرططيين ان اصابات الطرف الايمن من الجسم هي اكبر خطرا من الطرف الايسر (٣١) ربما كان سببه وقوع الكبد في الايمـن .

والمرة السوداء = البرودة + الجفاف وهي يابسة باردة وفائتها افاده الدم غلطاً ومتانة وتدخل في تركيب العظام . وينصب جزء منها الى فم المعدة فتحرك شهية الطعام .

والتوازن او : الاعتدال هو حال الصحة .

والخروج عن الاعتدال او سوء المزاج فهو حال المرض .

والمقصود بالمزاج هو : الفطرة ، او الخصلة ، او الطبع . والامزجة تسعة : معتدل ، وغير معتدل . اما مفرد : بارد ، او حار ، او يابس او رطب ، واما مركب : حار يابس ، وحار رطب ، وبارد يابس ، وبارد رطب .

وقيل ان ثمة اشخاص ذو مزاج دموي : واصحابه متوردو الوجوه ، سريعاً النبض ، اقوياء الشهوة .

واشخاص ذو مزاج بلغمي : وهم باردو الاحساس ، غير مكتئبين ، لون بشرتهم أبيض ، وشعرهم ذو لون فاتح ، وعظامهم رخوة ، وارادتهم وشهوتهم ضعيفة .

واشخاص ذو مزاج صفراوي : وهم صفر الوجوه ، مكتئبون .

اما اصحاب المزاج السوداوي : فطبعهم ماليخولي ، لون شعرهم داكن ، ودورتهم الدموية بطيئة .

وي يمكن لهذه الالخلط ان تغير فتنقلب من واحدة الى اخرى : وهكذا يتتحول البلغم الى دم بواسطة الحرارة الفريزية (٢٩) ، وينقلب الدم الى صفراء اذا اصبح سميكاً بسبب اردياد الحرارة ، ولكنه لا يستطيع الانقلاب الى بلغم .

(٢٩) المصدر رقم ٢ : ص ٥٩

(٣٠) المصدر رقم ٢ ص ٥٥

(٣١) المصدر رقم ٧ ص ١٠٤



اطباء عرب يتشاورون حول مريض (عن ممنوعة عربية محفوظة في مكتبة الينا)

ومنها المفكرة : وهي حاملة القوى لذلك
اصنافها كاصنافها .

الارواح

الا ان هذه القوى ذات الطبيعة المادية لا تتمكن
من القيام بعملها الا بواسطة الروح * ، ولكل قوة
روح خاصة وهكذا توجد :

روح طبيعية : تتولد في الكبد وتذهب
إلى الأعضاء عبر الأوردة . وتتولد من الطف
وانقى دم في الكبد دون ان تمتزج مع اي
خلط آخر .

والروح الحيوانية : تتولد في القلب
وتذهب إلى الأعضاء عبر الشرايين . وتتولد
من الطف بخار الدم والهواء المستنشق .

والروح النفسانية : توجد في بطون
الدماغ وتصل إلى الأعضاء عن طريق الأعصاب

وتصعد هذه الروح من الروح الحيوانية
الكافحة في القلب ، إلى الدماغ عن طريق
الشريان السباتي وتنقسم إلى النسيج الشبيه
بالشبكة فتنمو وتصبح عند ظهور الروح
النفسانية . وتقع هذه الروح في البطن الخلفي
للدماغ وتحكم في الحركات والذاكرة . بينما
تحكم التي تقع في البطن الأمامي بالحس
والادرار ، أما الموجودة في البطن الأوسط
فتشتمل في التفكير .

وللحظ أن النظرية هذه بسيطة بالنسبة
لما نعرفه اليوم من عقد الفيزيولوجيا ،

وتذهب هذه القوة مع الدم عبر الأوردة إلى
مختلف الأعضاء . وهي تتولد في الجنين وترافق
الوليد حتى آخر حياته .

٢ - القوة الحيوانية : تؤمن للإنسان الحياة
والحركة ، ومركزها القلب وتصل إلى
الأعضاء عن طريق الشرايين ، وهي التي تؤمن
الانتباض والانبساط للعضلة القلبية ،
والعروق الفوارب (الشرايين) .

٣ - القوة النفسانية : وهي التي تجعل
للإنسان ميزته الخاصة اي المقل فإذا كانت
النباتات والحيوانات تتمتع بقوى طبيعية ،
وحيوانية الا ان القوة النفسانية خاصة
بالإنسان لوحدة . ومركزها طبعاً : الدماغ .

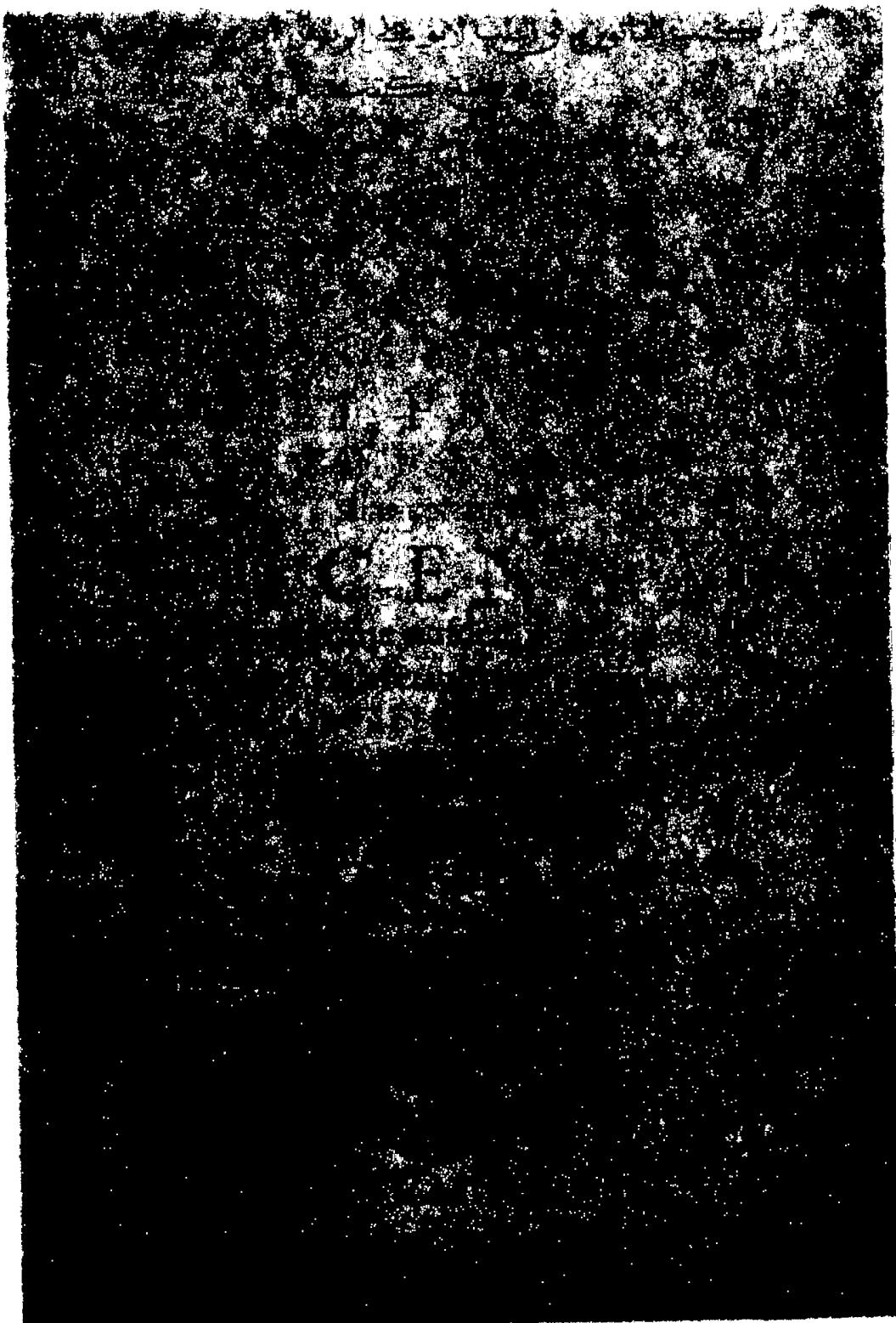
منها : المحركة : باعتماد المركة السوقية
وخدمتها الشهوانية ، والفضبية ، ومنها فاعلة
المركة تشنج العضل فينجدب الوتر فينقبس
العضو ، او ترخي العضل .

ومنها القوة المدركة وخدمتها خمس قوى
مختصة بالحواس اي السمع والبصر
والشم والذوق واللمس وهي القوة المدركة
بالظاهر [١] .

والقوة المدركة في الباطن : منها الحس
المشتراك وموضعه مقدم البطن المقدم في الدماغ
 وخزاناته الخيال وموضعه مؤخر البطن المقدم .

ومنها المدركة للمعنى (الوهم) وموضعها
البطن المتوسط وخزاناته الحافظة وموضعها
البطن المؤخر .

* - يقول ابن النفيس في الموجز : « ولا نعني بها النفس كما يراد بها في الكتب الإلهية بل نعني بها جسماً طيفاً بخارياً
يتكون من لطافة الاختلاط لتكون الأعضاء من كثافتها والأرواح هي حاملة القوى فلذلك اصنافها كاصنافها » . (الموجز
- معهد التراث - ورقة ٢ - ظ)



الصلحة الأولى من كتاب القانون المطبوع في روما عام ١٩٥٣ في مطبعة مدبيسيس

تعادل ضعف الساعة الروالية الحديثة)
والسنة الى ١٢ شهراً ، والسماء الى ١٦
برجاً . . . الخ ..

لذا يحق لنا اذن ان نتساءل فيما اذا
كانت هذه الفكرة ليست من اصل آشورى
بابلي ؟

اعضاء الجسم الاساسية :

اما اعضاء الجسم الاساسية من حيث
التشريح والفيزيولوجيا فهي اربعة :

البد : الذي يقوم بالغذاء للجسد

والقلب : الذي يمدء بالحياة

والدماغ : الذي يحرك الجسم

والانثيان آلة التناسل : التي تحفظ
النوع . (٣٤)

وكمثل على مفهوم القدماء عن التشريح
والفيزيولوجيا نعرض ما يلي : تذهب خلاصة
الكتيموس من المعدة الى الكبد عن طريق وريد
الباب حيث تحوله القوى الى دم عندئذ يمر
في الوريد الاوجوف الى اعضاء الجسم وهو
الوريد الاوجوف النازل .

اما الاوجوف الصاعد فيذهب بالدم الى
القلب ، والقلب دائم الحركة وله ثلاثة
بطون : ايمن وأيسر وأوسط .

وبساطتها هذه سببت تعقيداً في عمل الطبيب
آنذاك ، لأن ملاحظة الاطباء القدماء كانت
جيدة ، ونظرتهم ثاقبة . وكان عليهم دوماً
أن يفسروا الظواهر السريرية من خلال هذه
النظريّة الشيء الذي كان يوقعهم في الارتباك
والتناقض . (٣٢) .

لذلك : فنعتقد ان هذه النظرية رغم
مظهرها المتماسك ، قد اخرت الى حد ما ،
تطور الطب العربي ونموه . ودفعت به الى
التفكير والتفلسف بدل الاعتماد الكلي على
الملاحظة والتجربة .

ولم يفت هذا على بعض الاطباء العرب
كابن زهر الذي كان ينتقد الاطباء في الشرق
(امثال ابن سينا) لأنهم اهتموا بالمؤشر
الفلسفي النظري من الطب . بينما كان يعتقد
ان الجانب العملي منه هو الافضل والاهم .
وكان يؤمن بأن الارجوزة في الطب لابن سينا
هي افضل من قانونه .

فالقوى اذن ثلاث ، وليس اربعاً :

وهذا ما يستدعي النظر لأن الرقم ثلاثة
 المقدس عند الآشوريين والبابليين ، الذين اعتبروه
أساساً للارقام هو والرقم ٦ . لأنه بأمكان
تقسيم هذا الرقم الى نصفين وعلى ثلاثة
أثلاث . وعلى هذا الاساس قسموا اليوم
(نهار وليل) الى ١٢ ساعة (الساعة الآشورية

(٣٢) ابن الجزار ابو جعفر : مخطوط « في المسند وامراضها ومداواتها » المكتبة الظاهرية رقم : ٤٤٠ ورقة ٢ ظ

(٣٣) د. خير الله أمين اسعد : الطب العربي - الجامعة الامريكية بيروت ١٩ - ص ٢

(٣٤) ابن سينا : الحسين بن عبدان - الارجوزة في الطب - تحقيق د. جان جابي والشيخ عبد القادر نور الدين
- باريس ١٩٥٦ - ص : ١٧

شعب . ولها مجرى في الذكور متصل بالقضيب
وفي الإناث فوق الرحم .

وكان الفحص ، أى فحص المريض ،
يجرى أما في داره حين استدعاء الطبيب أو
في البيمارستانات * .

فإذا كان في البيمارستان استقبله أحد
الطلاب ، فإن صعبت حالته عليه عرضها على
من هو أقدم ثم أقدم ثم للاستاذ . (٣٧)

اما في المنزل فقد كان الطبيب يتحقق في
وجه المريض أول الأمر ليرى ما إذا كانت على
وجهه علامات اندار سيء (الهيئة البقرطية
المعروف) فإذا وجد أعلم الأهل . والا تقدم
من المريض فيسلم عليه . ويبدأ الفحص
بالتأمل فينظر هل هو جالس أم متمدد ، هل
ينظر بذكاء وانتباه ، هل يدير ظهره للضوء
او يستقبله ، هل يقوم بحركات عصبية في
يديه ورجليه . وينظر أيضاً في نفسه ولو نه
وطريقة كلامه . اذ يبدأ بالتحديث مع المريض
وسؤاله عن حاله وكيفية ظهور دائه (الاستجواب)
عندئذ يبدأ الفحص بعد نزع بعض ملابس
المريض ، والفحص يعتمد على الجس والقرع .
ثم فحص النبض بدقة . وينتهي الفحص
بمماينة البراز ، او القيء ، او التقيس .
وخاصة : فحص البول وكانت له أهمية بالغة .

وينتقل الدم في البطون الثلاثة بالتدرج:
ينصب ويجتمع في اليمين ، ويستعد في
الوسط ، ويصير رواحاً في اليسار ، وهو
يجذب الهواء البارد من الرئتين ، ويدفع
البخار الدخاني . وحركة الدم كحركة من
مد البحر وجزره . والدم نوعان : مروح ،
ودخاني . (٣٥)

والنبض هو حركة من اوعية الروح
مؤلفة من انقباض وانبساط لتبريد الروح
بالنسيم . (٣٦)

اما الكليتان فهما موضوعتان على جنبي
فقار الصلب ، واليمنى ارفع من اليسرى
جوهرها صلب لونها احمر وشكلها مستطيل ،
ولكل منها تحديب يلي الصلب وتقعر من
داخل . ولكل واحدة منها مجرى يتصل
بالمثانة يسمى الحالب . ويتصل بكل منهما
شعبة من الشريان المستبطن بالصلب وعصبة
من اعصاب النخاع . وهما تجذبان المثانة من
الكبد وتنفيان الدم واليمنى دون اليسرى
بسبب الكبد الموجود في هذا الجانب .

ويجتمع البول في المثانة وهي عضدية
وعلى فمها عضلة مستديرة تمنع خروج البول
بغير ارادة وتتصل بها من نخاع العجز عصبة
ومن الشريان والأوردة المنحدرة الى الرجل

(٣٥) ابن النفاث الفرج : كتاب العمدة في الجراحة - دائرة المعارف الثمانية - حيدر آباد - الفصل الثاني عشر ، ص ٦ :

(٣٦) ابن سينا الحسين بن عبد الله : القانون - طبعة بولاق - اوقيس المنشي ببغداد ج ١ ص : ١٢٣

(٣٧) القسطى جمال الدين : تاريخ الحكماء - طبع لايبزيغ - ١٩١٣ ص : ٢٧٣

* - كانت جامعة كامبردج تفتقر الى مستشفى حتى القرن الثامن عشر وان التعليم الى جانب المريض أصبح هاماً في
إنجلترا في منتصف القرن الثامن عشر .

مختلفة . وقد ميزوا في الاولى : ما كان اصله نباتيا (وهو الاكثريه الفالبة) وما كان اصله عضوي ، او معدني . وفي الثانية : ميزوا : الجوارشن (اي المهممات) والشراب والجلاب والاقراص ، والسفوف واللطوخ ، والمطبوخ ، والمنقوع ، والمرادم ، والخلانج ، والشياقات ... الخ . . .

وللادوية المفردة اهمية نظرية كبرى (٤٠) اذ كان لكل صنف منها اربع درجات من اليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة . فاذا كان الداء : يابسا في الدرجة الاولى ورطبا في الدرجة الثانية ، عندئذ توصف الادوية المعاكسة اي الرطبة في الاولى واليابسة في الثانية ،

وهكذا توصف الادوية الحارة في الاولى (الدرجة الاولى) للتهوية وللجدب وللفتح والتحفيض والتلطيف والفسيل ، وتوصف الباردة في الاولى للتكتيف والرفع والاغلاق . اما الدرجة الثانية للادوية فهي لا تخضع لتقسيم الصفات الاربع لذا فهي ناجمة عن التجربة وهي الصفة الاصم بالنسبة لمفاهيمنا الحالية فهي مثلا : مسكنة للالم ، مدرة للبول . . .

اما الدرجة الرابعة فهي الصفة الصيدلانية ويسمى الداء باسم العضو الذي يؤثر عليه فهي مثلا : ادوية للرأس ، او للمعدة ، او للصدر .

ولكل دور من أدوار الفحص هذا اصول مدرسته دقيقة وقواعد يجب احترامها . وبعد ذلك يعمد الطبيب الى كتابة وصفة طبية ليذهب اهل المريض لشرائها من الصيدلي الى جانب نصائح مختلفة اذ كان الاطباء العرب يولون علم الصحة العام اهمية كبيرة ، وقد كرسوا لها الكتب الكثيرة ، وعتمد اغلبها على الامتدال في كل الامور .

وكان الحمية تحتل مكانا هاما في المعالجة .

اما الادوية فكان اغلبها ذا اصل نباتي وتاتيهم من جميع بلاد العالم . ولقد كتبوا الكثير من الكتب المختصة التي تسمى بالاقرآبادينات . صحيح انهم انطلقوا من كتاب « الاعشاب » لديسقوريدس ، ولكنهم اضافوا عليه الشيء الكثير ولنذكر بان ابن البيطار لوحده اضاف ببحثه الخاص مائتي نوع نبات (٣٨) لم يكن معروفا قبله .

كذلك فان عدد الكتب المعروفة والتي تناولت بالبحث الادوية والاغذية ينوف على المائة (٣٩) ، ومن الذين كتبوا : ابن سينا والرازى ، والبغدادى والبيرونى ، وابن الجزار . . .

اما بالنسبة للادوية فهي اما مفردة اي دواء واحد ، او مركبة اي مولفه من عدة ادوية ممزوجة مع بعضها البعض بنسب

(٤٠) المصدر رقم ٥ ج ٢ ص ٢٢٢

(٤١) المصدر رقم ٥ ص ١٠٣

(٤٢) المصدر رقم ٢ ص ٤

● ان يعطي كل شيء في وقته .

اما اذا كانت الاصابة جراحية عندئذ تكون المعالجة بالحديد (اي المداخلة الجراحية) وتعتمد على : الشق ، والبطء ، والتكى ، والبتر ... الخ ..

هذا طبعا عدا عن حالات الكسور ،
وحالات التوليد .

اما اذا كان المريض مصابا بداء سار خطر كالجذام فيرسل الى مستشفى خاص ، كذلك هى الحال اذا كان مصابا بمرض عقلي .

اما وقت المعالجة فهو حين ظهور البحران . والمقصود الوقت الذى يصل الداء فيه الى نقطة التحول : اما الى الشفاء او الى الاختلالات . وعلى الطبيب ان يساعد الجسم على ان يسلك الطريق الاول . والمعالجة تعتمد على المبادئ البقراطية الاربعة :

● يجب ان تكون المعالجة مفيدة، او على الاقل ان لا تضر .

● مكافحة الداء بضده

● الاعتدال

